

الأمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
والحرركات الاحيائية الدينية - دراسة في الانثروبولوجيا الدينية

دكتور فاروق احمد مصطفى  
استاذ مساعد بكلية الآداب  
جامعة الاسكندرية

## مقدمة :

بدأت معرفتي بالأمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما اشرت اليه في إحدى دراساتي عن الجماعات الدينية في مصر عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م في عجلة وذكرت أن هناك فروقا كثيرة بين ما قام به الإمام الشيخ وبين ما تقوم به هذه الجماعات ، وكنت قد قرأت كتابا واحدا من مؤلفات الشيخ - رحمه الله - وهو كتاب كشف الشبهات وبعض المراجع الأجنبية الأخرى .

وفي هذه الدراسة اشرت الى ما يعرف في علم الانسان ( الانثروبولوجيا ) وعلم الاجتماع الديني باسم ( الحركات الاجتماعية الدينية ) والتي أطلق عليها بعض علماء علم الانسان مصطلح « الحركات الاحيائية » واستخلصت بعض المبادئ الخاصة بهذه الحركات واعتبرتها أساسا للحكم على الجماعات الدينية وعلى ما قام به الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصلت الى نتيجة هامة وهي ان « ما قام به الامام الشيخ يعد بكل المقاييس العلمية والمحركات الاجتماعية حركة اجتماعية دينية احيائية قصد بها العودة مرة أخرى الى الدين الإسلامي الحنيف »<sup>(١)</sup> الذي دخل عليه كثير من العادات والتقاليد والعبادات التي بلغت درجة تقديس الأشجار في شبه الجزيرة العربية .

وقد اتاحت لي اعارتي للعمل بكلية العلوم العربية والاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالقصيم فرصة الاطلاع على مؤلفات الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى ما كتب عنه من دراسات وكذلك المؤلفات التاريخية التي عاصرت حياة الشيخ ومنها :

(١) من امثلة هذه الحركات الاحيائية المهدية في السودان ، وحركات الكارجو في ميلانزيا والتي ظهرت في اول الأمر بهدف السيطرة على حمولة السفن والطائرات من بضائع أجنبية ونزد الثقافة الأجنبية ومعارضة السيطرة الأجنبية على البلاد وكذلك الحركات السنوسية في برونه وغيرها ، راجع في ذلك أحمد أبو زيد « السنوسية وأثرها في الحياة التقليدية في دراسات انثروبولوجية في المجتمع اليمني ، دار النشر للثقافة ، ١٩٦٢ ، ص ٧٢ .

— عنوان المجد في تاريخ نجد تأليف المؤرخ الشهير الشيخ عثمان بن عبد الله بشر النجدى .

— روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام لتلميذ الامام محمد بن عبد الوهاب ابن غنام الاحسائى والذى حققه الدكتور ناصر الدين الاسد بعنوان تاريخ نجد ونشرته مطبعة المدنى بالقاهرة ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

ووجدت نفسى أعود مرة ثانية إلى ما سبق أن كتبت منقحا ومزيدا عليه في دراستى الحالية هذه ومقتصرا على الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبرزا وموضحا الجانب الاجتماعى الهام لحركة الامام الشيخ . وما قام به الشيخ نفسه من دور متميز ساعد على نشر حركته الاصلاحية الاحيائية بالتفصيل .

وللحقيقة فقد قام كثير من الدارسين والباحثين قبلى بابرار الجوانب التاريخية والدينية الهامة في حياة الامام الشيخ . ولكن في هذه الدراسة الاجتماعية فاننا نحاول أن نلقى الضوء على الجانب الاجتماعى في حياة الامام الشيخ وحركته الاصلاحية هذا الجانب الذى لا يقل أهمية بأى حال من الأحوال عن الجوانب الأخرى المتعددة التى أبرزتها الدراسات السابقة مع استخدام أسس وعناصر ووحدات « موتيفات » اجتماعية استخدمها بعض علماء الانثروبولوجيا والاجتماع للحكم بها على القادة الدينيين وعلى مؤسسى الحركات الدينية الاحيائية .

والدراسة الحالية تحاول الاجابة عن بعض التساؤلات الكثيرة التى تطرح نفسها وأهمها :

— هل الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هؤلاء القادة الدينيين الذين احدثوا تغييرا كبيرا في مجتمعهم ؟

— هل يعد الامام الشيخ مؤسسا لحركة دينية كتب الله لها النجاح والازدهار والانتشار ؟

— ما هى أهم الصفات الخاصة بالامام الشيخ .. وهل تدخل هذه الصفات فيما يصفه علماء الاجتماع بمقولة ( الكارزما ) أو القوة الخاصة والالهام الذى يتمتع به القادة الدينيين ؟

— هل لحركة الامام الشيخ الدينية الاحيائية أثر في حركات دينية أخرى ؟

وفي اجابتنا عن التساؤلات السابقة وعن كثير من التساؤلات الأخرى نستخدم الموضوعية العلمية التى تطلب من الدارسين والباحثين عدم التحيز للدور الذى قام به الشيخ أو التحامل عليه وإنما ابراز الحقائق العلمية المجردة في ضوء نظريات علم الانسان وعلم الاجتماع للحركات الدينية مع استبعادنا لكل الأفكار المسبقة حتى يمكن التوصل الى نتائج دقيقة<sup>(٢)</sup> .

تتناول هذه الدراسة العناصر الأساسية التالية :

— مفهوم الحركات الاحيائية والمراحل التى تمر بها والنظريات المختلفة التى عالجتها باختصار .

— المناخ الاجتماعى والثقافى الذى نشأ فيه الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

— الجانب الاحيائى والاصلاحي في دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

— انتشار الحركة الاصلاحية الاحيائية التى قام بها الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأثيرها في حركات احيائية واصلاحية اسلامية اخرى .

— اوجه الشبه والاختلاف بين حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاحيائية وبين الحركات الاحيائية بمفهومها الاجتماعى .

ارتبطت الحركات الاحيائية بالحركات الدينية بدرجة كبيرة ، الأمر الذي أدى ببعض علماء علم الانسان أن يطلقوا عليها مصطلح الحركات الدينية<sup>(٣)</sup> . كما يطلق على الحركات الاحيائية في بعض الاحيان في الكتابات العربية مصطلح « البعث » وهى عبارة عن جهد منظم وواع يضطلع به بعض أفراد المجتمع وذلك بهدف اقامة ثقافة مغايرة للثقافة الحالية تكون أكثر ملاءمة وتعتمد على الماضى وتأخذ منه وتربطه بالحاضر . وتعرض الحركة الاحيائية (قيما أخرى وفي كثير من الأحيان يحاول البعض تشويه صورة الحركات الدينية وازهارها على غير حقيقتها وينغى على الدارسين المنصفين الموضوعيين رد اعتبار هذه الحركات ووضعها في المكانة اللائقة بها . كما يجدر الإشارة أن بعث الماضى في هذه الحركات لا يقف عنده وحده بل تنشذ هذه الحركات الحياة والنشاط واليقظة وتستمد من الماضى ما يتلائم مع الحاضر تمام الملاءمة<sup>(٤)</sup> .

ويعرف عالم الإنسان إنتونى والاس A. Wallace الحركات الاحيائية بانها حركات اجتماعية لها طبيعة دينية تقوم بغرض احداث اصلاح كلى في المجتمع<sup>(٥)</sup> . ومن أمثلة هذه الحركات حركة « الكارجو » في ميلانزيا والتي ظهرت في أول الأمر بهدف السيطرة على حمولة السفن والطائرات ونبد الثقافة الاجنبية ومعارضة سيطرة الاجانب على البلاد وكذا الحركات الدينية الاسلامية كالحركة السنوسية في ليبيا والتي تعد امتدادا لحركة الامام محمد بن عبد الوهاب الاحيائية — محل الدراسة — والتي سنتناولها بالتفصيل .

ومن أهم أسباب تسمية هذه الحركات بالحركات الاحيائية ، أنها تعتمد في قيامها على ما يبذله بعض أعضاء المجتمع من مجهود وواع وعامل ومنظم بهدف خلق الثقافة التي يرضى عنها أعضاء المجتمع كما تهدف الى الرجوع الى الماضى ومحاوله احياء العهود الذهبية التي عاشها المجتمع<sup>(٦)</sup> .

ويرجع استخدام المصطلح الى سنة ١٧٩٩ م عندما استخدم لأول مرة عندما قامت حركة اجتماعية تهدف الى توفير الحياة الكريمة للهنود الحمر الذين يسكنون في ولاية نيويورك الأمريكية ، وطبعاً لم يقتصر استخدام المصطلح على أمريكا بل شمل أيضاً آسيا وأفريقيا كما سبق أن أوضحت<sup>(٧)</sup> .

وكثيراً ما ارتبطت الحركات الاحيائية الدينية بالحركات الوطنية لأن هذه الحركات كانت تقاوم الاستعمار والتدخل الاجنبى وإن كانت تعتمد على الدين وتعتبره الدافع الأول والحرك والهدف الرئيسى عند بداية قيام الحركات .

وقد حدد علماء الانسان مراحل ثلاثة تمر فيها الحركات الاحيائية نلخصها بإيجاز فيما يلى .

### ١ — مرحلة ما قبل ظهور الحركة :

وفيها يكون المجتمع راضياً عن الأوضاع الاجتماعية والثقافية الموجودة ثم تبدأ نتيجة زيادة الضغوط في المجتمع أو نتيجة ظهور ثقافة جديدة أو اكتساب وزيادة درجة التباين والاختلاف بين الأفراد ظهور من يعارض الثقافة القائمة ويطالب بالتغيير .

### ٢ — المرحلة الثانية :

وفي هذه المرحلة يتحدد شكل الحركة وتوضع لها القواعد والنظم الخاصة بها واجراء الاتصالات اللازمة ومحاوله اقناع المعارضين ووضع التنظيم المناسب والذي يساعد على احداث التحول الثقافى .

### ٣ — المرحلة الثالثة :

فهى تحدد انتصار الحركة ووضعها لقواعد نمطية لازمة للممارسات والشعائر الدينية وثبات هذه الممارسات<sup>(٨)</sup> .

والخطوات الثلاثة السابقة ليست بالضرورة يجب أن تمر بها كل الحركات الاحيائية ولكنها خطوات ومراحل وجد العلماء من واقع دراستهم للحركات الاحيائية حدوثها

سواء تعلقت الحركات الاحيائية بالمجتمعات المتقدمة أو في تاريخ الاديان الكبرى ذاتها مثل الاسلام والمسيحية واليهودية<sup>(٩)</sup> .

ويرى علماء الاجتماع أن الحركات الاحيائية تمر أيضا بالمراحل الثلاثة ولكن خلال سنوات التكوين الأولى للحركات الاحيائية تتخذ الحركات شكل الجماعات الأولية غير الرسمية وتبدأ العملية أساسا بأن يؤثر مؤسس الحركة الدينية في مجموعة من الأفراد الذين يتبعونه ويتأثرون به من خلال الاتصال المباشر باعتباره قائدهم الملهم . ومثل هذا الاتصال يمددهم بالتماسك والتضامن . والجماعة في هذه المرحلة الأولى لا يتعدى دورها عن الاستماع والامتثال الى التعاليم الدينية الجديدة ويحاول المؤسس وضع قواعد تنظيمية للجماعة وسلوكها .

أما في المرحلة الثانية : فيتولى خلفاء المؤسس اعطاء تفسيرات واضحة للأمر الأساسية المتصلة بالتنظيم أو المعتقدات ، ويصبح للجماعة تنظيمها الرسمي وإذا ما نجحت الحركة في البقاء . فان المرحلة الثالثة تتميز بالتوسع والتفرع وبهذا تصبح الحركة أكثر تماسكا وتتخذ أشكالا متعددة<sup>(١٠)</sup> .

وهناك عدة نظريات واتجاهات فكرية رئيسية تقوم على أساسها الحركات الدينية والاجتماعية نوجزها فيما يلي :

### ١- نظرية الحرمان المطلق :

ويرى أن سبب ظهور الحركات يرجع إلى المستويات المعيشية المنخفضة التي تؤدي إلى السخط وعدم الرضا عن الأوضاع الاجتماعية الرئيسية القائمة مما يساعد على ظهور الحركات الاجتماعية ولاعتناق بعض الافكار الدينية .

### ٢- نظرية الحرمان النسبي :

وتعتبر من النظريات الأكثر قبولا بالنسبة للحركات الاحيائية والوطنية وهذه النظرية لا ترجع ظهور الحركات الاجتماعية الى الضغوط المحلية وإنما ترجعها الى تأثير التباين وتحقيق طموح أفراد المجتمع وبين مستوى المعيشة الواقع في حياتهم .

### ٣- نظرية اكتساب الثقافة :

وترجع هذه النظرية لظهور الحركات الاحيائية الى الاتصال الثقافي الذي يتم بين شعوب متقدمة وأخرى متخلفة ثقافيا ومحاولة فرض الثقافة المتقدمة على هذه الشعوب .

### ٤- النظرية التطورية الاجتماعية :

ترجع الحركات الاجتماعية الى التعبير عن الرفض الشعبي ضد الأحوال والظروف الاجتماعية السيئة<sup>(١١)</sup> .

وما لا شك فيه أن الحركات الدينية تعتمد اعتمادا كبيرا على شخصية مؤسسها وما يتمتع به من جاذبية وقدرة على التعبير والاقناع ، وهذه القدرة تجعل الناس يلتفتون حوله ويطلق علماء الاجتماع على هذه الصفات مصطلح ( الكارزما ) وهي عبارة عن طاقة ملهمة أو قوى روحية غير عادية دينية تساعد على نشر القيم الجديدة ويستطيع القائد الديني أن يحقق بهدد القوة دعوته في التغيير وفي ايمان الجماعة بافكاره ومبادئه<sup>(١٢)</sup> .

تناولنا في هذا الجزء من الدراسة الحركات الدينية الاحيائية وكيفية ظهورها والمراحل التي تمر بها والخطوات الرئيسية وأيضا شخصية مؤسس الحركة الدينية وما يتمتع به من سمات وصفات خاصة وذلك قبل أن نلقى الضوء على حياة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب والحركة الدينية الاحيائية التي قام بها حتى نستطيع أن نطبق على هذه الحركة المفاهيم والمبادئ الأساسية للحركات الدينية الاحيائية وحتى نستطيع أن نحكم على حركة الشيخ بطريقة موضوعية .

والتساؤل الهام الذي يتبادر الى الذهن هو هل حركة الامام الشيخ حركة احياء وبعث جديد للدين الاسلامي ؟ وما الدور الهام الذي قام به الشيخ في نشر هذه الدعوة ؟ وأثر هذه الحركة الاحيائية في الحركات الاحيائية الأخرى للدين الإسلامي عند اجابتنا على التساؤلات السابقة وغيرها نستشهد بالدراسات الاجتماعية ودراسات علم الانسان مع مراعاة الظروف الاجتماعية والثقافية التي عاشها الامام الشيخ والتي ظهرت في ظلها حركته الاحيائية .

وإذا ما استعرضنا ما كتبه المؤرخ ابن غنام الاحسائي تلميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما كتبه ابن بشر في « تاريخ نجد » فإنهما يشيران بوضوح الى المناخ الاجتماعي والثقافي السائد في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور دعوة الامام حيث ذكرا ان القبور والأضرحة والأحجار والأشجار كان يقبل عليها المسلمون ويعظمونها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجدهم يزورون قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة ويدعونه لتفريج كربهم وفي بلدة منفوحة يتوسلون بصحل النخل ، وتذهب النسوة طالبات الزواج وغير ذلك من الامور التي إن دلت على شيء فانها تدل على فساد المناخ الاجتماعي والثقافي كما ساد أيضا في هذا المناخ الانقسام والصراع بين إمارات متناثرة كثيرة وكانت الحروب المستمرة بينها وحوادث السطو والاعتداء التي لا تنتهي .

وفي هذا المناخ الاجتماعي والثقافي ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة عام ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م . ونشأ الشيخ فيها وقرأ على أبيه وكان كثير المطالعة في التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام فشرح الله صدره في معرفة التوحيد . وسافر إلى البصرة يريد الشام فلما وصلها جلس يقرأ فيها عند عالم جليل وتجمع عليه الناس في البصرة من رؤسائها وغيرهم فأذوه أشد الأذى ولم يستطع الوصول الى الشام لضيق نفقته فقصد الشيخ الاحساء ومنها الى حريملاء التي انتقل اليها أبوه في ١١٣٩ هـ وجلس عند أبيه يقرأ عليه وينكر ما يفعل الجهلاء من البدع والشرك في الأقوال والأفعال وأعلن دعوته القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبعه بعض أهل البلد واشتهر بينهم ولما أراد أن يمنع عبيد إحدى القبيلتين بحريملاء عن الفساد وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم العبيد أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه ليلا .

فانتقل الشيخ بعدها الى العيينة وعرض على رئيسها التوحيد ونصرة « لا إله الا

الله » فوافق وتبعه مجموعات كبيرة وبدأ الشيخ في قطع الأشجار التي كان يعظمها الناس وفي هدم قبة قبر زيد بن الخطاب فعظم أمره وبلغ خبره قائد الاحساء والقطيف فأرسل الى رئيس العيينة يأمره بقتل الشيخ والاطاع عنه الأجر والخراج فطلب من الشيخ أن يغادر العيينة فغادرها متوجها الى الدرعية حيث علم به خصائص من اهلها ورأوه فقرر لهم التوحيد واستقر في قلوبهم فارادوا ان يخبروا محمد بن سعود حاكمها ويشيروا عليه بنصرته لكنهم هابوه فإرسلوا الى زوجته واخبروها بمكانة الشيخ وما يأمر به فوقر في قلبها التوحيد واخبرت زوجها بمكانة الشيخ وطلبت منه نصرته فقبل قولها ولما تحقق من معرفة التوحيد اشترط على الشيخ الا يغادر الدرعية أن اظهر الله الدعوة ونصرها فوافق الشيخ على ذلك كما طلب منه الا يتدخل فيما يفرضه على اهلها من قانون وقت الثار فوعده الشيخ بخير منه وتحقق له ما قاله الشيخ .

استقر امر الشيخ والدعوة في الدرعية وقصدها وهاجر اليها كثير من الاتباع مما امنوا بالدعوة ، وقد كان الشيخ يتمتع بصفات كثيرة وهي الزعامة وموهبة التحدث والقيادة ، ولتحليلنا لهذه الصفات نجد انها صفات وخصائص فريدة لقائد ديني يتمتع بقدرة على اقناع اتباعه وتأكيده حركته الاحيائية ، وهذه الصفات كما اسلفت يطلق عليها الاجتماعيون مصطلح الكارزما<sup>(١)</sup> ، وهي ترتبط عادة بالدين وبالقيادة الدينيين ، وهذه القدرة الملهمه لا يتمتع بها كثير من القادة في

\* ادخل عالم الاجتماع ماكس فيبر M. Weber مصطلح الكارزما Charisma الى الدراسات الاجتماعية ليدل به على قوة بعض الأشخاص أو موهبتهم أو قدرتهم غير العادية . وهذه القوة هي التي تؤهل اصحابها لان يكونوا امثلة لغيرهم من الأفراد كما أن هذه القوة غير العادية هي التي تجعل الأفراد ينظرون اليهم على أنهم مقدسون ويمتازون على البشر ومن ثم فهم أهل القيادة الجماهيرية أو الاحزاب السياسية أو لأن يكونوا حكاما لمجتمعاتهم أو انبياء ورسل .

فالكارزما اذن مجموعة من الصفات أو المواهب الخارقة للعادة التي يمنحها الله لبعض الافراد فيصبحون اهلا للقيادة والزعامة وقد تختلف درجات التفوق في القيادة الكارزمية فيصير منهم الخطباء والثوار أو قادة الاصلاح أو قادة الاحزاب والانبياء أو الرسل ، ومن وجهة نظرنا أن صفة الكارزما شبيهة ان حد كبير مع مصطلح الكرامة التي تطلقها في مجتمعاتنا اقليمية على بعض الأولياء والقديسين والزملاء

ميادين الحياة الأخرى وقد تمتع بها الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مما ساعد على الالتفاف حوله وكثر مؤيدوه واتباعه نظرا لصفاته الخاصة وايضا لبساطة دعوته في التوحيد وعدم الشرك بالله وكفاحه ونضاله ضد الشرك بجميع اشكاله والوانه وضد البدع والخرافات والانحطاط الخلقى مما يؤكد قدرته الفائقة وتفوقه الاجتماعي وشخصيته القوية التي كانت تجذب اليها كل من تحدث اليهم الشيخ بحديث التوحيد .

وقد كانت لاقامة الشيخ في الدرعية ولسمعة اميرها محمد بن سعود الطيبة اكبر الاثر في تهيئة الأرض الصالحة للدعوة فقد لبي الدعوة بكل حماس اعضاء جدد فقام الشيخ بتعليمهم مبادئ الدعوة وقد ابلوا بلاء حسنا في سبيل نشرها . وكتب الشيخ اهل ورؤساء البلدان بدعوة التوحيد فمنهم من قبل ومنهم من اتخذه سخريا فأمر الشيخ بالجهاد وحض اتباعه عليه فامثلوا وكتب الله للدعوة النصر فانصرت على خصوم الاسلام وازيلت القباب وقطعت الاشجار وخلصت العبادة لله تعالى ، واخذ الناس يعودون إلى ربهم وخالفهم فتنفرغ الشيخ بعد ذلك للعبادة وتعليم العلم الى أن توفي في يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة ١٢٦٦ هـ / ١٩٧٢ م وله من العمر نحو اثنين وتسعين عاما<sup>(١٥)</sup> .

ويؤكد ماكس فيبر في نظريته عن الكارزما أن الطاعة المطلقة هي الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها النظام الكارزمي بل قد يصل الأمر الى التضحية من أجل تأدية الرسالة الشخصية الكارزمية لقادة الاصلاح ويقدر ما يقوم به الشخص الكارزمي من خوارق الاعمال بقدر ما يستطيع أن يجذب اليه الاتباع ويسيطر عليهم فكان التأثير في الاتباع متوقف تماما على قدراته الخارقة التي تفوق قدرة الآخرين . ويرى تالكوت بارسونز Talcott Parsons أن عملية التغيير في بعض المجتمعات الانسانية تحتاج الى أن يقوم بعض الافراد بدور هام لاحداث هذه العملية وهذا الدور منوط بالقائد الكارزمي الذي يلعب دورا هاما في نشر المبادئ وفي السيطرة على النسق الاجتماعي بل قد يمتد تأثيره الى نسق القيم فيفرض على الجماعة الانسانية ايدولوجية معينة .

راجع :

Max Weber, The Theory of social and Economic organization ed. by Talcott Parsons, ilenco, III, Free Press 1957.

Edward Shills "Charisma" in I.E.S.S. Vol 2, pp. 386-390.

Talcott Parsons, The Social System, Routledge & Kegan Paul, London 1970.

مادنا بصدد توضيح المناخ الاجتماعي والثقافي في العصر الذي عاش فيه الامام محمد بن عبد الوهاب فانه يمكننا أن نعقد ماثلة انثروبولوجية<sup>(١٦)</sup> لعصر الامام وللعصر الذي عاش فيه الرسول عليه الصلاة والسلام ونقصد هنا بالماثلة تحديد أوجه التشابه بين العصرين أو ما يعرف في علم الانسان بمصطلح التوازي الثقافي ، وتم المماثلة بين ثقافة العصرين في أهم النقاط التالية :

الثقافة السائدة في عهد رسول الله  
والمناخ الاجتماعي

الثقافة السائدة في عهد الامام  
محمد بن عبد الوهاب والمناخ الاجتماعي

- ١- كانت الاصنام تعبد في عهده . انتشرت حياة الجاهلية أيام الامام .
- ٢- كانت الانسانية في حاجة ماسة الى الرسول .
- ٣- وفق الله الرسول في دعوته ونصره . وفق الله الامام في احياء دعوة الرسول .
- ٤- هاجر الرسول من مكة الى المدينة . هاجر الشيخ من حريملاء الى الدرعية مقتديا برسول الله وبالقرآن الكريم .
- ٥- الدعوة باللين والحسنى في بداية ظهورها . سار الشيخ على نهج الرسول في دعوته .
- ٦- الاخطار الكثيرة التي تعرض لها الرسول من المشركين في مكة . تعرض الامام الى كثير من الأذى والاطار من أجل دعوته الى احياء سنة رسول الله .
- ٧- ارسل الرسول رسائله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام . اقتدى الامام بالرسول في ارساله رسائل للأمرء يدعوهم الى التوحيد وعدم الشرك بالله .
- ٨- الغزوات وخروج الرسول بها . نادى الامام بالجهاد وخرج مع الامير محمد بن سعود في الجهاد .

وهذه المماثلة لا نقصد بها على وجه التحديد، والمساواة بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين الامام الشيخ، وإنما قصد بها توضيح المناخ الاجتماعي والثقافي للعصرين. فحاشى الله أن يتساوى أحد من البشر مع رسول الله الذي يعد بحق المثل والقدوة والاسوة الحسنة للمسلمين جميعا.

( ٣ )

من العرض الموجز السابق لحياة الامام محمد بن عبد الوهاب يمكن أن نبرز الجانب الاحيائي في دعوة الامام. وهذه الدعوة تعتبر من اولى الحركات الاحيائية التي ظهرت في الأمة العربية تعبيراً عن كراهية العرب لمفاسد الدولة العثمانية ومحاولة منهم تحقيق وحدة اسلامية لمواجهة حركة التتريك التي حاولتها الدولة العثمانية بالنسبة للحضارة العربية والاسلامية.

وهي تعد بحق من الوجهة الدينية الخالصة حركة احيائية تجديدية سلفية اصلاحية ارتكزت على نفس الدعائم التي ارتكزت عليها دعوة الامام ابن تيمية في الرجوع الى الكتاب والسنة في كل شيء من شئون الحياة واتباع سبيل السلف الصالح في فهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ومحاربة البدع والمنكرات ولاسيما ما اتخذت مظهر الشرك بالله كالتمسح بالقبور والصلاة عندها وطلب الحاجة منها والاستعانة بغير الله والتبرك بالاشجار والاحجار التي يعتقد فيها العامة أنها قادرة على جلب الخير أو دفع الشر والاهتداء بهدى الرسول حرفياً.

ومما يجدر الاشارة اليه ان رواد الحركات الاحيائية والاصلاحية يتعرضون دائماً لألوان من التعذيب والاضطهاد من جانب دوى السلطان فقد تعرض ابن تيمية لالوان من التعذيب والسجن ولما مات في سجنه زاد علواً وتأثيراً في الأمة<sup>(١٧)</sup>.

كذا نجد الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتعرض لصنوف من الايذاء والآلام والاستهزاء والسخرية من مدعى العلم ومن رؤساء البلدان وعبيدهم لكن كتب الله لحركته في النهاية النجاح والاستمرار والتأثير في حركات احيائية واصلاحية اخرى سنشير اليها.

ويمكن أن نحدد الملامح الاساسية للدعوة من قول الامام محمد بن عبد الوهاب والتي كتبه ابن غنام في تاريخ نجد، قال الشيخ: « اننى هدانى ربي الى صراط

مستقيم ديننا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ولست والله الحمد أدعو الى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم بل أدعو الى الله وحده لا شريك له وأدعو الى سنة رسول الله ﷺ<sup>(١٨)</sup> ، ويقول أيضا « مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقنا طريقة السلف اذ هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكم اخلاقا لمن قال طريق الخلف أعلم ، وهي أنا نقرأ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى مع اعتقاد حقائقها فان سالكا وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ونعتقد ان الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى ولا يكون في ملكه الا ما أراد فان العبد لا يقدر على خلق فعالة بل له كسب رتب عليه الثواب فضلا والعقاب عدلا . ونحن في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة ونحوهم ، لا نفرم ظاهرا على شيء ومن مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة ولا نستحق مرتبة الاجتهاد مطلقا ، ولا أحد يدعيه . الا أنا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ أخذنا به .. الخ<sup>(١٩)</sup> .

من النص السابق ونصوص تاريخية لا يتسع المجال لذكرها نستطيع أن نحدد أهداف الدعوة الاحيائية للامام محمد بن عبد الوهاب فيما يلي :

١- الرجوع بالإسلام الى ما كان عليه في أيام الرسول والخلفاء والصدر الأول .

٢- الدعوة إلى الاهتمام بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي .

٣- الالتزام بالسنة النبوية في كل ما أتى مجملا في القرآن الكريم .

٤- اتباع مذهب أهل السنة والجماعة .

٥- تخليص التوحيد مما شابه من شرك .

٦- محاربة البدع والخرافات المتمثلة في عبادة القبور والاستعانة بغير الله وانقاد الناس من أساليب الجاهلية التي اخذت تنفشي في المجتمع الإسلامي منذ بداية القرن الثامن الهجري .

٧- فتح باب الاجتهاد في الفروع دون الاصول .

٨- ضرورة القيام بواجب الجهاد وحياء هذه الفريضة التي اصابها الوهن فكانت الحركة الاحيائية للامام ثورة عارمة على الاستعباد والضعف والانحلال الذي وصل اليه العالم الإسلامي<sup>(٢٠)</sup> .

وحركة الامام الاحيائية الاسلامية التوحيدية كان لها أكبر الأثر الواضح والقوى والفعال والمؤثر في تصحيح المسار الفكري في العالم الاسلامي وتنقية الدين الاسلامي مما علق به من الشوائب والخرافات والبدع والخزعبلات والتمسك بالقرآن والسنة باعتبارها القواعد الاساسية للدين الاسلامي والذي يجب أن تسير الامة الاسلامية على هدى هذين النبعين الخالدين ونبذ ما يتنافى معها من بدع وضلالات دخلت على الدين في عصور لاحقة للدعوة الاسلامية السابقة للدعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>(٢١)</sup> .

ومما لا شك فيه أن الشيخ قد استمد من القوى الروحية الاسلامية زادا ايجابيا واجه به الصعوبات وحركة التتريك التي كانت ترمى الى طمس معالم التراث الاسلامي ومما ساعد على تغلغل الاتجاهات الاحيائية لحركة الامام شعور المسلمين واحساسهم بالآثار المدمرة التي لحقت بتراثهم الاسلامي والحضارى بفعل معاول الهدم الاستعماري وحاجتهم الى تلمس العودة الى اغوار قيمهم الاسلامية الاصيلة لازالة ما علاها من صدا أو احتواها من تزيف وبهتان<sup>(٢٢)</sup> .

وكان الاضطهاد ، الذي تعرضت له حركة الامام الاحيائية والذي قامت به الدولة العثمانية وما صاحب ذلك من شائعات من اعداء الامام وأعداء دعوته اكبر الاثر في انتصار الدعوة وانتشارها وذيوعتها<sup>(٢٣)</sup> وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرنا ، من ان القائمين بالحركات الاحيائية يتعرضون لكثير من الاضطهاد الذي يعد في

الواقع من العوامل الهامة في نشر دعواتهم وتحقيق الانتصارات المتتابعة لهذه الحركات .

وليس غريبا أن تواجه حركة الامام بمقاومة عنيفة في أول أمرها لان ذلك رد فعل طبيعي لمواجهة فئات من المنتفعين والحكام المعاندين الذين جهزوا حملات ظالمة مستخدمة كل قدرة على الكذب وفنون الاعراء والتضليل واغراء البسطاء والعلماء المفتونين لمحاولة تشويه الدعوة وخلق جو من الكراهية حول مفاهيمها<sup>(٢٤)</sup> . وهذا ما اكدته الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية بالنسبة لمحاولة تشويه الحركات الاحيائية وتشويه سمعة القائمين بها .

وبالرغم من ذلك فقد وجدت الحركة الاحيائية التي قام بها الامام كثير من المنصفين من الدارسين المسلمين والاجانب ، فهذا لوثرود ستودارد يقول في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » : « ان الدعوة الوهابية إنما هي دعوة اسلامية خالصة بحتة اغراضها اصلاح الخرق ونسج الشبهات أو ابطال الاوهام ، ونفس التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها اربابها في عصور الاسلام الوسطى ودحض البدع وعبادة الاولياء . وعلى الجملة في الرجوع الى الاسلام والاخذ به على أوله وأصله ولبابه وجوهره أى أنها الاستمسك بالوحدانية التي أوحى الله بها الى صاحب الرسالة ، صافية والاهتداء والالتزام بالقرآن المنزل مجردا ، وما سوى ذلك فباطل وليس فيه شيء من الاسلام »<sup>(٢٥)</sup> .

( ٤ )

لم تسلم دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حرب شنها عليها بعض الحكام المحليين وبعض مدعى العلم . وكما أشرت فان اتفاق الدرعية (١١٥٧ هـ) بين الامام وبين أميرها محمد بن سعود كانت بداية مرحلة هامة في تاريخ الدعوة السلفية فقد تعاهدا على اظهار دين الله والجهاد في سبيله وكانت المعاهدة عهدا جديدا لنشر الدعوة وتوحيد المسلمين تحت راية الاسلام وبذا بدأت مرحلة جديدة وهي مرحلة الجهاد ، وأصبحت مدينة الدرعية مركز الحركة الاحيائية التي قام بها الامام الشيخ .

وأصبح من الضروري مواجهة اعداء الحركة حيثما كانوا والقيام بالحملات الحربية للدفاع عنها وافساح المجال أمام الراغبين في الانضمام اليها والرجوع الى الحق . وبدأت سلسلة من المعارك الحربية المتصلة وانتصرت كلمة الحق وشهد الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أواخر حياته رايات التوحيد خفاقة على معظم اقاليم الجزيرة العربية التي شهدت تحولا خطيرا في حياتها الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية تحت لواء الدولة السعودية<sup>(٢٦)</sup> .

وكان لانتشار الدعوة في جميع أرجاء الجزيرة العربية وكذلك في خارجها عندما سمع بها المسلمون في مواسم الحج وأيدوها وتمسوا لها وكذلك فليس من باب الصدفة أن جميع حركات الاصلاح التي ظهرت في العالم الاسلامي منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وخلال القرن التاسع عشر الميلادي كلها كانت دعوات دينية احيائية واصلاحية. تأثرت بدعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية .

وفي هذا الصدد نشير في عجالة الى بعض هذه الحركات الاحيائية التي ظهرت في العالم الاسلامي والتي تأثرت بدرجة كبيرة بدعوة الامام الشيخ . ففي الهند

ظهرت حركة « الفرائضية » التي أسسها « شريعة الله » في البنغال سنة ١٨٠٤ م . وقد كان لاقامته الطويلة في مكة اكبر الأثر في تعرفه على دعوة الامام الاحيائية ومحاولته عند عودته الى الهند نشر مبادئها بين سكان البنغال .

كما وأن دعوة الامام أيضا اثرت في بعض الحركات السياسية الدينية التي قامت خلال القرن التاسع عشر في الهند ومن هذه الحركات حركة « السيد احمد » الذي ادى فريضة الحج سنة ١٨٢٢ م واجتمع باتباع الامام الشيخ في مكة واقنع بالدعوة ومبادئها واصبح من انصارها واعوانها ونشر دعوته في البنجاب ودعا المسلمين الى الايمان بمبادئ الاسلام الصحيح وترك البدع والعقائد الأخرى .

وتأثرت دعوة صديق حسن خان مؤسس حركة أهل الحديث في الهند أيضا بدعوة الامام وكان ذلك طبيعيا نظرا لاقامته في الحجاز<sup>(٢٧)</sup> .

أما في المغرب والجزائر فقد كان للحركة الاحيائية للامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب أكبر الأثر فقام « سيد محمد بن عبد الله » (١٧٥٧-١٧٩٠ م) بكفاحه ضد التصوف المنتشر في المغرب وسار على نهجه (مولاي سليمان) (١٧٩٢ م/١٨٢٦ م) والذي أدخل مبادئ دعوة الامام الى مراكش . وقام أبو العباس التيجاني بالدعوة الى ترك البدع والنهي عن زيارة القبور فكثير اتباعه وقامت دعوته بحركة كفاح مسلح ضد فرنسا واسبانيا معا في الجزائر ومراكش .

ولما جاء الامام السنوسي الى مكة حاجا ومكث يطلب العلم وعاشر اتباع دعوة الامام وتعلمذ على علمائها وشيوخها واعتنق مبادئها وعاد الى الجزائر ينشر ويؤسس طريقته الخاصة في بلاد المغرب وكانت وسيلته في تنفيذ حركته الدينية الاحيائية هي

\* يعاب على الشيخ السيد احمد خان - الذي منح درجة السير - موقفه ورأيه السياسي فقد نصح المسلمين في الابتعاد عن أى نشاط سياسي وأن يهتموا فقط بالتعليم . وعندما انضم بعض المسلمين الى مجلس الكونغرس القومي الهندي هاجمهم ووقف ضد التنظيم بقوة وقد تمثلت اعتراضاته في عدم انشاء برلمان ديمقراطي وأن التمثيل السياسي يرتبط بطبقات قايمة وقد امتثل المسلمون لتعامته وانعدوا عن الحياة السياسية وحرّموا منها لسنوات طويلة حتى اسسوا بعد ذلك تنظيمهم السياسي .

انشاء الزوايا وهي مراكز اجتماعية ودينية اصلاحية وعلمية ومراكز للحكم والادارة وللزراعة والتجارة وللاعداد العسكرية الذي استطاعت السنوسية بفضلها أن تقاوم الاستعمار وتخوض المعارك الضارية ضد الاستعمار الايطالي في برقة<sup>(٢٨)</sup> .

وامتد أثر دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى السودان ففى غرب السودان ، كان الداعية الشيخ عثمان بن فودي من اتباع الشيخ يحارب البدع الشائعة في عشيرته ويعمل على تقويض بقايا الوثنية ، وقام بسلسلة من المعارك ضد قبائل الحوصة الوثنية واقام دولة « سوكونتر » في السودان على أساس من مبادئ دعوة الامام وامتدت حدودها الى جميع الاقطار الممتدة من تمبكتو الى بحيرة تشاد<sup>(٢٩)</sup> .

أما في شمال السودان فظهرت الدعوة المهدية التي أسسها محمد أحمد بن عبد الله وبدأت الدعوة سرا في جزيرة « أبا » ثم جهر بدعوته وطالب من رجال الدين نصره المهدية والرجوع الى الكتاب والسنة والعمل بها وكان حريصا على تحرير بلاده من الاستعمار ورفع مستوى السودان الاقتصادى والاجتماعى وبناء مجتمع اسلامى قام على التعاليم التي اقامت المجتمع الاسلامى الأول .

وامتدت آثار دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الشيخ محمد عبده ومدرسته السلفية التي قامت على محاربة البدع وما دخل على العقيدة الاسلامية من فساد وفتح باب الاجتهاد واقام مدرسة فكرية دينية وعلمية وتربوية تتجه لمقاومة الاستعمار نفسه والاهتمام باصلاح اللغة العربية .

وهكذا نرى أن دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته الاحيائية التي بدأت في شبه الجزيرة العربية وكان هدفها هو تنقية الاسلام من الشوائب الدخيلة والعودة به الى وضعه ايام الخلفاء الراشدين وكانت أهم مبادئها القضاء على الشرك والدعوة الى التوحيد . هذه الدعوة تركت اكبر الأثر كدعوة سلفية اصلاحية وتوحيدية وكحركة احيائية للدين الاسلامى في قارقي آسيا وافريقيا بل استطاعت أن توقظ المسلمين وتركى فيهم روح الجهاد لتحرير اوطانهم من الاستعمار .

في ختام دراستنا عن الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته نحدد اوجه الشبه والاختلاف بين الحركة الدينية التي قام بها الامام الشيخ وبين الحركات الاحيائية الدينية بمفهومها الاجتماعي .

فنجد أن أساس قيام الحركات الاحيائية الدينية هو الجهد المنظم الواعي والأخذ من الماضي وعرض قيم جديدة . وكما أوضحنا من قبل فإن ما قام به الامام الشيخ يعد جهدا منظما واعيا فاعتمد الشيخ على دراسته للقرآن الكريم وحفظه وعلى دراسة كتب الفقه وطالع كتب التفسير والحديث ثم انتقل بين العلماء وقام بالاسفار والرحلات واخذ عن علماء السلف وخاصة الامام ابن تيمية وبذلك فانه قد توفر أحد الشروط الهامة التي تنطبق على قادة الحركات الاحيائية الدينية وهذا الشرط قائم على توفر الجهد المنظم الواعي للقائد الديني الذي يقوم بالحركة الاحيائية وأيضا اعتماد القائد الديني على الدين وعلى الماضي وعلى العصور الذهبية التي مرت بالدين الاسلامي وقام الامام الشيخ بعرض القيم الاسلامية الاصيلة التي كادت أن تندثر لولا ما قام به من جهد خارق يفوق الوصف وصدق رسول الله « القائل » أن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها فهذا الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يجدد للامة الاسلامية أمر دينها .

والدليل الآخر على الجهد الواعي المنظم للقائد الديني الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب هو اتفاهه مع الأمير الامام محمد بن سعود على نصره دعوة « لا إله الا الله » ويشترك الاثنان معاف القيام بالفزوات المنظمة وتنطلق الحركة الدينية الاحيائية من الدرعية وقد تسلحت بالقدرات المعنوية القوية المتمثلة في قوة الامام الشيخ واتباعه كما تسلحت بالقدرات العسكرية متمثلة في قوة الامير الامام محمد بن سعود وحيثه . ويتفرغ الامام الشيخ بعد ذلك لأمور الدعوة ويتترك أمر الجهاد للامام محمد بن سعود وابنائهم .

ومن المحركات الاجتماعية التي وضعها علماء علم الانسان للحكم بها على الحركات الاحيائية الدينية نجد الصفات الشخصية للقائمين بأمر هذه الحركات وفي دراستنا نجد أن الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتميز بصفات خاصة وقدرة على التعبير والاقناع وقوة خاصة ملهمة يسميها الاجتماعيون « الصفات الكارزمية » هذه الصفات كلها تمتع بها الامام الشيخ واستطاع بهذه الصفات الخاصة أن يجذب اليه الاتباع وبقوة حجته وقدرته على الاقناع أن يزيد من عددهم وأن يطلق حماسهم من أجل الدفاع عن الدعوة والتصدي لاعدائها .

ومن الأسس الاجتماعية الاخرى التي نستخلصها من دراسة الحركات الاحيائية الدينية نجد أن كثيرا ما تعرض القائمون بهذه الحركات الاجتماعية الدينية للاضطهاد وتشويه دعوتهم ونستطيع أيضا أن نستنتج ذلك من دراستنا لما حدث للامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد تعرض للأذى ولصنوف من الآلام والاستهزاء والسخرية من مدعى العلم ومن رؤساء البلدان وعبيدهم كما تعرض للاضطهاد من الدولة العثمانية وان دعوته نفسها تعرضت الى تشويه صورتها بين المسلمين على أساس انها خارجة عن الدين الاسلامي وايضا الى كثير من الشبهات والافتراءات التي اثرت حولها ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، شبهة ان الامام الشيخ ادعى النبوة ، وشبهه انه ادعى الاجتهاد المطلق ، وشبهه ادعاء أنه واتباعه من الخوارج ، وشبهه اتهام الشيخ بأنه يكفر الناس ، وشبهه كراهة الصلاة على النبي ﷺ وشبهه انكار شفاعة الرسول ﷺ وشبهه ان الحركة مذهب جديد أطلق عليه اعداء الدعوة « بالمذهب الوهابي » وقد دافع الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن نفسه بالآية الكريمة « سبحانه هذا بين عظيم » كما دافع عن الامام الشيخ وعن حركته كثير من الباحثين والدارسين المنصفين منهم الكاتب الامريكى لوثرروب ستودارد في كتابه حاضر العالم الاسلامي والمؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرقي في تاريخه عن حوادث عام ١٢١٧ هـ وغيرهم .

أما بالنسبة للحركات الاحيائية الدينية فقد حدد علماء علم الانسان مراحل

ثلاثة تمر بها أى حركة احيائية وهى مرحلة ما قبل ظهور الحركة والتي نجد فيها ان الأوضاع الاجتماعية والثقافية والجو الاجتماعى والثقافى غير المناسب وبالقياس أيضا على ما أوضحناه من مناخ اجتماعى عاش فيه الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجد أنه كان مناخا غير سليم فالعبادة لا تقدم الى الله بل لغير الله والشرك بالله وعبادة الأوثان كل ذلك دفع الامام الشيخ للثورة على هذا الوضع الاجتماعى غير المناسب وبث دعوته التوحيدية بين الناس ودعاهم الى العودة الى عبادة الله الواحد وعلمهم التوحيد وبذل قصارى جهده فى هذه المرحلة الأولى معتمدا على اساليب الاقتناع والقول الحسن .

ثم فى المرحلة الثانية من الحركات الاحيائية الدينية نجد أن قادتها يشكلون الحركة ويضعون القواعد المنظمة لها وعند تطبيق ذلك والقياس على حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجدها تتوافق مع مرحلة استقرار الامام الشيخ فى الدرعية وتعاهده مع اميرها الامام محمد بن سعود وقيامه بوضع القواعد المنظمة للحركة ووضع كثير من المؤلفات التى بلغت ثمانية عشر مؤلفا منها : كشف الشبهات ، والتوحيد ، وكتاب الكبائر ، وأصول الايمان وتفسير القرآن وغيرها .

أما المرحلة الثالثة من وجهة نظر علماء علم الانسان التى تمر بها الحركة الاحيائية الدينية فإنها مرحلة الانتصار للحركة ووضعها لقواعد نمطية لها ونجد من دراستنا أن حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاحيائية قدر الله لها النصر على اعدائها واستطاعت أن تنشر مبادئها فى كل شبه الجزيرة العربية ورفعت رايات التوحيد عالية .

وقد يختلف علماء الاجتماع وعلى رأسهم نوتنجهام Nottingham الذين درسوا الحركات الدينية فى تحديد المقومات الاساسية للمراحل الثلاثة ، وفى المرحلة الأولى نجد مرحلة تكوين الجماعات الاولى وهذه المرحلة مرت بها أيضا حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاحيائية وفى بداية الحركة كون الامام جماعات صغيرة من الاتباع الذين صدقوا دعوته وكان ايمانهم — بعد ايمانهم

بالله — بمبادئه قويا وكانت هذه المرحلة هى مرحلة امتثال للتعاليم الدينية والسلوك الدينى الذى حدده ووضعه الامام الشيخ لاتباعه .

أما بالنسبة للمرحلة الثانية فيرى علماء الاجتماع أن خلفاء مؤسسى الحركة هم الذين يقودون الحركة من بعده ويضعون التفسيرات والشروح المختلفة . وهذا ما نجده فبعد وفاة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتولى ابناؤه وبنائه الامير محمد بن سعود أمر الدعوة ويتكاتف الجميع فى شرح الدعوة وتوضيح أهدافها ومراسلة الامراء .

ثم تأتى المرحلة الثالثة وهى مرحلة التوسع والانتشار والتفرع وبهذا تصبح الحركة اكثر تماسكا . وتحليلنا لدعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته الاحيائية وتأثيرها فى الدعوات الاسلامية الأخرى نجد أن الدعوة محل الدراسة مرت بهذه المرحلة بالفعل عندما التقى اتباع الحركة بالمسلمين الذين كانوا يؤدون مناسك الحج ونشروا بينهم مبادئ الدعوة ثم قام هؤلاء باعادة نشر الدعوة مرة ثانية فى اقطارهم سواء فى الهند أو فى البنجاب أو فى سومطرة أو فى المغرب والجزائر وليبيا والسودان ومصر وغيرها كما أوضحنا فى هذه الدراسة من قبل .

أما بالنسبة لدراسة الاسباب التى تؤدى الى ظهور الحركات الاحيائية فقد حدد علماء علم الانسان أربعة نظريات رئيسية سبق أن تناولناها بإيجاز عند الحديث عن الحركات الاحيائية ونستخلص فى دراستنا هذه أنه يمكن أن تنطبق احدى هذه النظريات على حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فالنظرية القائلة بأن أسباب ظهور الحركات الاحيائية ترجع الى رفض ونبذ الثقافة القائمة بالفعل نتيجة لانها لا تتفق مع الدين ، هذه النظرية هى أقرب النظريات التى يمكن أن تنطبق على حركة الامام الشيخ فقد قامت الحركة لرفض ونبذ ثقافة كانت قائمة على البدع والخرافات المتمثلة فى عبادة القبور والاستعانة بغير الله وانقاذ الناس من اساليب الجهالة التى أخذت تنتشى فى المجتمع الاسلامى واعادة احياء الدين الاسلامى الخنيف والعودة الى ايام الخلفاء الراشدين ، وكانت لسياحات

الإمام الشيخ وأسفاره واحتكاكه الثقافي ببعض العلماء الذين تعلم على أيديهم وقراءته الكتب الفقه والتفسير والحديث أكبر الأثر في بلورة أهداف حركته الأحيائية الدينية .

### الخاتمة

بعد أن استعرضنا أوجه التشابه والاختلاف بين حركة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الحركات الأحيائية الدينية بمفهومها الاجتماعي ، وفي ضوء ما قدمنا ، بالنسبة للمناخ الاجتماعي والثقافي في حياة الإمام الشيخ وما ابرزناه في حركته الأحيائية الدينية وأهدافها وأثرها في الحركات الأحيائية الإصلاحية الإسلامية الأخرى كالسوسنية والمهدية وغيرها نستطيع أن نثبت صحة الحقيقة العلمية التي توصلنا إليها وهي « ان ما قام به الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعد بكل المقاييس العلمية والمحكات الاجتماعية حركة اجتماعية دينية أحيائية قصد بها احياء الدين الإسلامي الخنيف والعودة مرة أخرى الى حياة السلف الصالح » .

### الهوامش وأهم المراجع

- ١ — فاروق مصطفى ، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر ، ١٩٨١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٢٢٨ .
- ٢ — فاروق مصطفى ، البناء الاجتماعي لجماعة دينية في مصر ، دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ ، ص ١٠ .
- ٣ — Norbeck, E., *Religion in Human Life*. Anthropological Views Holt Rinehart and Winston Inc. N.Y., 1974, p. 55.
- ٤ — معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠ م ، ص ٢٢٨ .
- ٥ — Wallace, A., "Revitalization Movements" *American Anthropologist*, New Series, 1956-58, pp. 261-281.
- ٦ — Wallace, A., "Nativism and Revivalism" In E.S.S. vol. 11 p. 57.
- ٧ — Linton, R. "Nativistic Movements" in *Reader in Comparative Religion: An Anthropological Approach* 2nd ed. by A. Lessa and Evanz vol. eds. N.J. Harper 1965. pp. 499-566.
- ٩ — Wallace, A., Op. cit. pp. 75-80.
- ٩ — Haviland, A., William, *Cultural Anthropology* Holt Rinehart and Winston, Inc. N.Y. 1975, p. 325.
- ١٠ — الجماعة الأولية هي مجموعة من الأفراد تقوم بينهم علاقات أساسها التفاعل يطلق عليها مصطلح الجماعة الاجتماعية وتعتمد على علاقات المواجهة وهذه الجماعات تحقق التضامن وتحافظ على المعايير الأخلاقية وتقوى هذه المعايير وتعمل على ثبات المجتمع الإنساني وتعتبر الأسرة جماعة أولية رئيسية

بالإضافة الى وجود جماعات أولية ايضا تتضمن جماعة العمل وجماعة الأخوة المدرسية وجماعة النادي .... الخ .

Mitchell Y.D., A dictionary of Sociology Routledg & Kegan Paul, London, 1968, p. 86.

- ١- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الدينى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١ ، ص ٣٨٧ .
- ١٢- فاروق مصطفى ، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .
- ١٣- محمد أحمد بيومي ، مرجع سابق ، ص ٣٨٦ ، وراجع أيضا : Shils E., "CHARISM" I.E. S.S. vol. 1, pp. 386-390.
- ١٤- محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م ، القاهرة ، ص ٣٢ .
- ١٥- عثمان عبد الله بن بشر ، عنوان المجلد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ج ٢ ، مطبعة بيروت ١٣٨٧ هـ ، ص ١٦-٢٤ .
- وراجع أيضا : ابن غنام الاحسار « روضة الافكار والافهام لمرئاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام » حققه ناصر الدين الاسد ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م .
- ١٦- مصطلح مماثله Analogy يستخدم في دراسات علم الانسان وعلم الطبيعة ويقصد به ضرب من التشابه بين شيئين متميزين ففى علم الأحياء يطلق على الأشياء التى تؤدى وظيفة واحدة وإن اختلف اصلها . وفى اللغة يقال أن لفظين متماثلين إذ أديا معنيين مختلفين فى شىء من التشابه . وفى علم الانسان (الانثروبولوجيا) والعلوم الاجتماعية يستخدم هذا المصطلح للدلالة على تطوريين متوازيين فى مجتمعين مختلفين . وهذا هو التوازن الثقافى أو للدلالة على تشابه موقفين أو تناظرهما .

انظر : حسن سعيان ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م ، ص ٥٦٥ .

- احمد عبد الغفار ، محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الثالثة ، منشورات مكتبة العرفان ببيروت ، ١٣٢٢ هـ/١٩٧٩ م ، ص ١٥٢-١٥٨ .
- ١٧- احمد الخشاب ، علم الاجتماع الدينى ، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ م ، ص ٣٥٩ .
- ١٨- حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، مرجع سابق ص ٢١٥ .
- ١٩- عبد الرحمن عميرة «الشبهات التى اثيرت حول دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب» ، بحوث اسبوع الشيخ محمد عبد الوهاب ، ج ٢ ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م ، ص ٤٢ .
- ٢٠- د. وهبه الزحيلي ، «تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ، بحوث اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .
- ٢١- عبد الفتاح الغنيمى ، «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى غرب أفريقيا» ، بحوث اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .
- ٢٢- أحمد الخشاب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٥-٣٦٦ .
- ٢٣- د. محمد جميل غارى ، مجدد القرن الثانى عشر الهجرى شيخ الاسلام الامام محمد بن عبد الوهاب ، مطبعة المدنى ، القاهرة ( بدون تاريخ ) ، ص ٦٥-٦٧ .
- ٢٤- عبد الرحمن بن سليمان الرويشد ، الوهابية حركة الفكر والدولة الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ، ص ٣٠ .

الأسس النظرية لاجراج « رسالة الغفران »  
على خشبة المسرح

د. أبو الحسن عبد الحميد سلام  
( قسم المسرح — كلية الآداب )

٢٥— لوثرروب ستودارد ، حاضر العالم الاسلامى ، الترجمة العربية ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٢٦٤ .

٢٦— مصطفى مسعد ، «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودى الاصلاحية في غرب افريقيا» اسبوع نحو الشيخ ، مرجع سابق ، ص ٤٢٦—٤٢٧ . وراجع أيضا : الغزوات في كتاب تاريخ نجد ، ص ٨٩—٢٠٦ .

٢٧— د. وهبه الزحيلي ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ .

٢٨— راجع في ذلك :

Evans-Pritchard, E.E., The Sanusi of Cyranca, O.U.P. London 1968.

ووصف المؤلف الزوايا السنوسية وجوانب الحياة اليومية داخلها والحرب التي خاضتها الحركة السنوسية مع الاستعمار الإيطالي خلال الفترة من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩٣٢ م .

٢٩— مصطفى مسعد ، مرجع سابق ، ص ٤٢٨ ، وما بعدها .